

دلائل الإعجاز

كثيراً والغرضُ منه ذكرُ المفعول مثاليه أنكَ تقولُ : أَضْرَبْتَ زَيْدًا وَأَنْتَ لَا تَنْكِرُ أَنْ يَكُونَ كَانَ مِنَ الْمُخَاطَبِ ضَرْبُ . وإنما تُنْكَرُ أَنْ يَكُونَ وَقَعَ الضَرْبُ مِنْهُ عَلَى زَيْدٍ وَأَنْ يَسْتَجِيزَ ذَلِكَ أَوْ يَسْتَطِيعَهُ . فلمَّا كَانَ فِي تَعْدِيَةِ " أَجْرَتُ " مَا يُؤْهِمُ ذَلِكَ وَقَفَ فلم يُعَدِّ البتَّةَ ولم ينطقْ بالمفعول لتخلُّصِ العناية لإثبات الإجراء للرماح وتصحيح أنه كان منها وتَسْلَمَ بِكَلَامِهَا لَهَا لِمِثْلِهِ قَوْلُ جَرِير - الوافر - : (أَمْدَيْتِ الْمُنَى وَخَلَّيْتِ حَتَّى ... تَرَكَتِ ضَمِيرَ قَلْبِي مُسْتَهَامَا) . الغرضُ أَنْ يَثْبِتَ أَنَّهُ كَانَ مِنْهَا تَمَنِيَةٌ وَخَلَابَةٌ وَأَنْ يَقُولَ لَهَا : أَهْكَذَا تَصْنَعِينَ وَهَذِهِ حِيلْتُكَ فِي فِتْنَةِ النَّاسِ .

وَمِنْ بَارِعِ ذَلِكَ وَنَادِرِهِ مَا تَجَدُّهُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ رَوَى الْمَرْزُوبَانِيُّ فِي كِتَابِ " الشَّعْر " بِإِسْنَادٍ قَالَ : لَمَّا تَشَاغَلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَهْلِ الرَّدَّةِ اسْتَبْطَأَتْهُ الْأَنْصَارُ فَقَالَ : إِمَّا كَلَفْتُمُونِي أَخْلَاقَ رَسُولِ اللَّهِ فَوَاللَّهِ مَا ذَاكَ عِنْدِي وَلَا عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنِّي وَاللَّهِ مَا أُوتِيتُ مِنْ مَوَدَّةٍ لَكُمْ وَلَا حُسْنٍ رَأَيْتُ فِيكُمْ وَكَيْفَ لَا نَحْبُكُمْ ! فَوَاللَّهِ مَا وَجَدْتُ مِثْلًا لَنَا وَلَكُمْ إِلَّا مَا قَالَ طِفْلٌ الْغَنَوِيُّ لِبَنِي جَعْفَرِ بْنِ كَلَابٍ - طَوِيلٌ - : (جَزَى اللَّهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أُزْلِفَتْ ... بَيْنَا نَعْلَانَا فِي الْوَاطِئِينَ فَزَلَّتْ) (أَبَوْا أَنْ يَمْلَأُونَا وَلَوْ أَنْ أُمِّنَا ... تُلَاقِي السَّيْفَ لِقَاؤُهُ مِنْهَا لَمَلَّتْ) (هُمْ خَلَطُونَا بِالذُّفُوسِ وَالْجُؤُورِ ... إِلَى حَجَرَاتٍ أَدْوَأَتْ وَأُظْلَمَتْ) . فِيهَا حَذْفُ مَفْعُولٍ مَقْصُودٍ قَصْدُهُ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ قَوْلُهُ : لَمَلَّتْ وَالْجُؤُورُ وَأَدْفَأَتْ وَأُظْلَمَتْ لِأَنَّ الْأَصْلَ : لَمَلَّتْنَا وَالْجُؤُونَا إِلَى حَجَرَاتٍ أَدْفَأْتْنَا وَأُظْلَمْتْنَا . إِلَّا أَنَّ الْحَالَ عَلَى مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ أَنَّهُ فِي حَذْفِ الْمُتَنَاسِي حَتَّى كَأَنَّ لَا قَصْدَ إِلَى مَفْعُولٍ وَكَأَنَّ الْفِعْلَ قَدْ أُبْرِهَمَ أَمْرُهُ فلم يُقْصَدْ بِهِ قَصْدَ شَيْءٍ يَقَعُ عَلَيْهِ كَمَا يَكُونُ إِذَا قُلْتَ : قَدْ مَلَّ فلانٌ تَرِيدُ أَنْ تَقُولَ : قَدْ